

جامعة منوبة
معهد الصحافة وعلوم الإخبار

الجمهورية التونسية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

رسالة بحث لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال

المجال العمومي والاتصال الافتراضي

مقاربة هابرماسية لدراسة المجموعات الافتراضية التونسية

إشراف: د. الصادق الحمامي

إعداد: مفيدة العباسي

السنة الجامعية 2010/2009

فهرست المحتويات

7	تمهيد.....
8	موضوع البحث.....
9	دوافع اختيار الموضوع
10	موقع البحث من البحوث السابقة
12	إشكالية البحث وفرضياته
14	منهج البحث
16	تقديم عينة البحث
18	صعوبات البحث

الفصل الأول : المقاربة المفاهيمية والنظرية للبحث

20	1. المفاهيم الأساسية للاتصال الافتراضي
20	1.1. في معنى "الافتراضي"
23	2.1. البعد الاجتماعي للاتصال الافتراضي

25	3.1 المجموعات الافتراضية
28	2. مقارنة "يورغن هابرماس" للمجال العمومي والعقل التواصلي.....
28	1.2 في المجال العمومي
30	1.1.2 المجال العمومي : فضاء للتفكير والمطالبة العقلانية
32	2.1.2 المجال العمومي : نموذج قيمي إنساني.....
33	3.1.2 دور الإشهار في تشكّل المجال العمومي.....
35	4.1.2 العقلانية كوظيفة وكخاصية نوعية للإشهار
36	5.1.2 الرأي العام كنتاج للوافق عام.....
37	6.1.2 من الإشهار النقدي إلى الإشهار التدليلي.....
39	2.2 الفلسفة التواصلية عند هابرماس
40	1.2.2 العقل التواصلي عند هابرماس
43	2.2.2 أخلاقيات النقاش
45	3.2 الفضاء الافتراضي والمجال العمومي
46	1.3.2 صحافة المواطن، هل تحقّق مبدأ الإشهار؟.....

الفصل الثاني: معايير الفضاء العمومي وأخلاقيات النقاش في المجموعات الافتراضية

50	1 مؤشر اهتمام المجموعات الافتراضية بالشأن العام
52	2 الحرية كمعيار يحدد أداء النشاط الاتصالي
54	3 حق الاختلاف كمعيار ينظّم النشاط التواصلي
56	4 معايير أخلاقيات النقاش بين المتحاورين الافتراضيين
56	1.4 مؤشرات العقلانية : المسؤولية والمعقولية
60	5 البرهنة كمعيار للنقاش العقلاني

- 1.5. أنواع الحجج ومسارها 60
- 2.5. طبيعة الحجج ودلالاتها 62
6. مدى تنوع المرجعيات الثقافية في خطاب المتحاورين 65

الفصل الثالث: الاتصال الافتراضي والسياقات المنتجة للمجال العمومي

1. الاتصال الافتراضي : مضامين ومواضيع متعدّدة 69
- 1.1. في ما هو خاص وحميمي 69
2. التحوّل من الخاص إلى العام : مسار بلا نهاية 70
3. الالتزام بالقضايا والمصالح العامة 71
4. المناخ السياسي والمشاركة في الحياة العامة 72
- 1.4. الحقوق المدنية والسياسية وفعل المشاركة 72
- 2.4. دور المجتمع المدني في تشكيل المجال العمومي 74
5. الإعلام الجماهيري ودور الجمهور في صياغة المضامين الإعلامية .. 75
6. التنشئة على قيم المواطنة 77
7. البعد المعرفي والثقافي في النقاشات العامة 81
8. ملامح الحركة الثقافية ودور المثقف التونسي 82
- الخاتمة 85
- البيبلوغرافيا 93
- ملاحق الدراسة

تمهيد

يطفو خطاب الحداثة على خطابات المفكرين والمثقفين والمهتمين بالشؤون الاجتماعية والسياسية مع كلّ أزمت وكل صعوبات تمر بها المجتمعات الإنسانية، خطاب يستعيد ذاته في كل مرة، يرجى منه سبل تصحيح مسار أو سبل تغييره. فالحداثة عند الغرب هي مشروع "لم يكتمل بعد" في نظر هابرماس¹ (Jürgen. Habermas)، وعند العرب مقولات تواجه بدايات تشكلها عراقيل إجرائية وقيمة ثقافية. فمن خلال قراءته النقدية لواقع المجتمعات الحديثة وردًا على مختلف أطروحات التيار ما بعد الحداثي، أسس هابرماس براديجما جعل فيه التواصل محورا لعقلنة المجتمع وتحديثه في إطار مجال عمومي تتم فيه مداولة الشؤون العامة ويستند إلى مبادئ معيارية لتسيير هذه المداولات وضبطها وفق قيم وأخلاقيات للنقاش. وهو يرى فيه إمكانية لتجاوز التوتر القائم بين الفكر الحداثي وسياسات الديمقراطية القائمة التي تحكمها "العقلانية الغائبة". فعبر "المجال العمومي" (Espace public) تم بلورة الحداثة وعبره تم تحقيقها وبواسطتها يعمل المجال العمومي وينجز مهامه.

صاغ هابرماس مفهوم المجال العمومي ليؤسس من خلاله أفقا نظريا للفعل الديمقراطي ولتثبيت القيم الكونية الأساسية لانعتاق الفرد والمجتمع على أساس فعله التواصل العقلاني، فوفقا لقراءته النقدية لأداء الديمقراطية التمثيلية في ظل الدول الرأعية (الاجتماعية) l'Etat providence تبين له أنها تعيش خروقات مست من جوهر الديمقراطية التي غدت فيها التمثيلية مجرد جهاز لتوجيه الرأي العام وللتدليل démonstration بدل المداولة والنقاش النقدي. فالرأي العام الذي يعبر عنه أعضاء البرلمانات على أساس تمثيليتهم لمختلف توجّهات المجتمع لم يعد ذلك الناتج الجمعي الفعلي لكل المواطنين، بل تصنعه أقليّات ذات نفوذ سياسي ومصالح خاصة. والمجال العمومي منظومة من القيم والمعايير يختبر بها وينجز بواسطتها الفعل الديمقراطي، وعليه يتمثل الفعل الديمقراطي بالنسبة إلى هابرماس في التداول أي في الاتصال المبني على النقاش العام والإشهار بما يتم التوافق عليه من رأي يمثل عموم الناس. وبناءً على ذلك استبدل هابرماس العقل الأداة بعقل تواصل، فقد جعل من العقل الملكة الوحيدة التي تتحكم في بناء النشاط الاتصالي، وفي بناء الخطاب البرهاني وإرساء أخلاقيات للتداول والنقاش.

ولأنّ النشاط الاتصالي يرتكز على فضاءات مكانية كفضاءات البرلمانات والنوادي والجمعيات والمقاهي... ووسائل أدائية تتمثل في وسائل الاتصال والإعلام من صحف وقنوات

¹ يرغن هابرماس فيلسوف ألماني معاصر من مواليد 1929 احد رواد مدرسة فرونكفورت النقدية وأحد رواد الفكر الفلسفي "العملي" الذي يتجاوز اهتمامه بماهية الموضوعات ليهتم بممارستها وفعلها في الواقع. ويتميز فكره بالمساءلة النقدية الاجتماعية والسياسية والتاريخية والثقافية وبلورة آفاق نظرية لها.

تلفزيونية وإذاعات وشبكات الاتصال رقمية وإلكترونية مختلفة، فإنّ تحديد العناصر المكوّنة لها والفاعلين فيها وفهم طبيعة النشاط الاتصالي الذي يمرّ عبرها يعدّ أمراً "ضرورياً لكلّ من يهتمّ بالفعل الرمزي أو بمسار إنتاج وأداء الاجتماعي الذي تساهم فيه"². ففي وضعية كوضعية المجتمع التونسي، حيث ينظر إلى الاتصال عبر وسائله التقليدية على أنه يفتقد إلى التفاعلية والمصادقية، ينشد مستعملو شبكات الاتصال الافتراضي تحقيق ما عجزت عنه هذه الوسائل، وبما أتيح لهم من حرية يحاولون طرح مشاغلهم ومناقشتها، ويشكّلون مجموعات يتمّ فيها التبادل والتفاعل إلى حدّ أنّ البعض (المصادق الحمامي وجمال الزرن) حمّله إمكانية تحقيق مجال عمومي تونسي.

موضوع البحث

شكّل المجال العمومي رؤية جديدة لمفهوم الديمقراطية وبناء مجتمع تحكمه العقلانية والانعقاد والمصلحة العامة وأعاد صياغة بنية العلاقات بين السلطة والمجتمع المدني. وهو إجمالاً رؤية أعطت نفساً جديداً للديمقراطية محورها "الاتصال". ويمثل هذا النموذج مرجعية قيمية ومنظومة معيارية وعملية لتأمين أقصى إمكانات توسيع المداورات وفق مبدأ "الإشهار" وأخلاقيات التواصل البين ذاتي (intersubjectif)، وهي آليات تمكّن أيضاً من نقد أدوار وأداء الاتصال ومساءلتها. ويذهب أوليفي فوارول Olivier Voirol إلى القول "بأنّ هذا ما يجب أن يقود إلى التأمل في العلّات والأمراض التي تخترق الاتصال"³، بمعنى أن هذه المعايير والقيم لها أيضاً وظيفة النقد والاختبار والمساءلة، بما أنّ الاتصال مهما كانت تمظهراته المعرفية فهو في نهاية المطاف "يتوضع داخل مجتمع معيّن ويُنفذ بأدوات مجتمعية معينة"⁴.

ويقتضي أداء المجال العمومي العقلاني والمتاح (accessible) توارد نشاط اتصالي مبنّي على التفاعلية والتحرّر، وهو ما يتوافق إلى حدّ ما مع الاتصال الافتراضي. ويتّسم الاتصال الافتراضي بكونه نموذجاً يفترض تحرّر الأنشطة الاتصالية من المحدّات الزمانية والمكانية،

² Miège, Bernard : La société conquise par la communication, presse universitaire de Grenoble, 1989, p. 109.

³ Olivier Voirol, Médias, communication et reconnaissance : Les pathologies de la communication publique, communication au colloque « Langue, action et société », organisé par l'UR « Genèse de l'Empirisme logique », Université de Tunisie et Institut Goethe, avec la collaboration de la Bibliothèque Nationale de Tunis, les 24 et 25 octobre 2008, Tunis.

⁴ جان مارك فيري : فلسفة التواصل، ترجمة عمر مهيبيل، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006، ص 9.

وذلك بإتاحة فعل التواصل وإمكانيات التأويل والتفاعل، كما يفترض إمكانية اختزال مختلف توجهات الرأي العام وعرضها وتبسيطها و"إشهارها" في المجال العمومي.

ويعود اختيارنا لمفاهيم فلسفة التواصل والمجال العمومي إلى كونها تتيح شبكة من القيم والمعايير نبحث من خلالها طبيعة العلاقات الاجتماعية ومدى نضج المجتمع المدني وعقلانيته ومدى حضور المصلحة العامة والاهتمام بالشؤون السياسية والاجتماعية في فضاءات النقاش والحوار الافتراضية، فضلا عن معرفة ميكانيزمات الثقافة المتداولة في صلب المجتمع التونسي ومدى وعيه بأدوار الاتصال وإدراكه لوظائفه في إنتاج المعرفة والتفاهم وتنظيم ومراقبة المؤسسات المجتمعية لبناء ديمقراطية يقوم المجتمع بتحديد ملامحها ووظائفها عبر المداولات والنقاشات في المجال العمومي.

وبناءً على ذلك، اخترنا أن يهتمّ هذا البحث بالموضوع التالي: "المجال العمومي والاتصال الافتراضي"، وذلك في محاولة لتقصّي الأدوار الفعلية التي يمرّرها الاتصال الافتراضي في تونس ومدى توافقه مع المبادئ العقلانية والكونية للمجال العمومي. ويقتضي مسار هذا البحث تطويع ميكانيزمات ومعايير مبادئ الفلسفة التواصلية في المجال العمومي لتحديد طبيعة النقاشات والحوارات المتداولة على شبكة الإنترنت والإمكانات التي تتيحها لبناء مجال عمومي تونسي عجزت وسائل الاتصال التقليدية على تحقيقه.